179685 ـ الفرق بين القلم الذي كتب مقادير كل شيء بأمر الله وبين القلم الذي يكتب به الناس

السؤال

هل يجوز قول إن القلم اختراع بشري ؟ وهل هذا يتعارض مع ما ورد من أن أول ما خلق الله القلم ؟ علما بأننا نقصد بالقلم ، القلم الذي له جرم ، ويستخدم في الكتابة العادية ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

لابد أن نفرق بين القلم الذي كتب مقادير كل شيء بأمر الله وبين القلم الذي يكتب به الناس .
فالقلم الذي كتب المقادير شأنه عظيم بلا شك ، وهو قلم حقيقي ، كالذي يفهم الناس من معاني القلم ، وله جرم أيضا ، لكن لا يقدر قدره ، ولا يعلم حقيقة أمره إلا الله ؛ فقد روى الترمذي (2155) عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ اكْتُبْ فَقَالَ مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ اكْتُبْ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ) صححه الألباني في "صحيح الترمذي" .

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله :
" لا يعلم كيفية اللوح والقلم إلا الله ، وهما مخلوقان من مخلوقات الله عز وجل ، نؤمن بذلك " انتهى من "شرح العقيدة الطحاوية" (ص 111) .

وقال الشيخ يوسف الغفيص :
" وأما تفاصيل ماهية اللوح والقلم فإن هذا لم تفصله النصوص " انتهى من "شرح العقيدة الطحاوية" (ص 136) .

وهو من نور ؛ كما روى الطبراني في "المعجم الكبير" (10605) عن ابن عباس قال : " لوددت أن عندي رجلا من أهل القدر فوجأت رأسه " !! قالوا : ولم ذاك ؟ قال : " لأن الله خلق لَوحا محفوظا من درة بيضاء ، دفتاه ياقوتة حمراء ، قلمه نور وكتابه نور " .
قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (7 /393): " رواه الطبراني من طريقين ، ورجال هذه ثقات ".

وقد خلقه الله عز وجل بيده ؛ كما روى الحاكم في "المستدرك" (3244) والآجري في "الشريعة" (750) عن ابن عمر رضي الله

عنهما قال : " خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده : آدم عليه السلام ، والعرش ، والقلم ، وجنات عدن ، ثم قال لسائر الخلق : كن فكان " وصححه الألباني في "مختصر العلو" (75) .

أما القلم الذي نكتب به فأمره معروف ، وحقيقة ماهيته لا تخفى على أحد ، ولا حرج من القول بأنه من اختراع البشر وابتكاراتهم ، ولا يتعارض ذلك مع إيماننا بأن أول ما خلق الله تعالى هو القلم ؛ لأن هذا القلم الذي كتب الله به مقادير كل شيء غير تلك الأقلام التي يستعملها الناس ويصنعونها على أشكال مختلفة وبصور متعددة ، وقلم القدر خلقه الله بيده ، أما هذه الأقلام فمن صنع البشر .

مع أن هذه الأقلام التي يصنعها البشر ، بل كل ما يصنعونه ويعملونه : هو أيضا من خلق الله تعالى ، ولا تعارض بين الأمرين ؛ فالله جل جلاله هو خالق العباد ، وخالق أعمالهم ، وهو خالق ما في الكون كله ، والعبد صانع لما يصنعه ، ولا تعارض بين الأمرين ؛ فإذا كان الله هو خالق العباد ، فهو خالق لما يعمله العباد .

والله تعالى أعلم .